

أيام الظلمة

نقطة ضوء

مشوار عشقي

وكيدار طويل، أليس كذلك؟

حسن خضر

يلتقي سعوديون وإسرائيليون، وتتوفر أشرطة عن لقاءات في ندوات مشتركة (الأمير تركي الفيصل، مثلا)، ويظهر، من وقت إلى آخر، سعوديون للكلام في الموضوع (عسكري سابق يدعى عشقي، مثلا) وثمة تحليلات كثيرة حول "تقارب" سعودي وخليجي ـ إسرائيلي.

لا بأس، ولكن أهدأ لا يكلف نفسه عناء التفكير في موقف الإسرائيليين من "التقارب"، وغالبا ما يتجلى الأمر في وسائل الإعلام العربية إما بإدانة المشاركين في فعاليات كهذه، والردول التي يعكولونها، أو بالتجاهل من جانب وسائل الإعلام التابعة للدول المعنية، ولا يندر من حين إلى آخر أن يخزط "البرالي" من هنا أو هناك في عَرف مفكر عن فضائل السلام، و"غباء العرب"، الذين أنفقوا سبعة عقود في حروب خاسرة، وسمدوا لطفاً ومغامرين وضعوا قناع فلسطين على وجوههم بإنشاء أنظمة استبدادية أحرقت الأخضر واليابس.

ولا بأس، أيضا، ففي كل ما قيل جانب من الحقيقة. ولكن الحقيقة، إذا كان ثمة من شيء كهذا، لا تحتمل التبسيط، ولا تتجلى إلا بوصفها مركبا من عناصر مختلفة، وحقائق زرعية، ومن منطوق ومسكوت عنه، وهي في حالة سيولة دائمة نتيجة تبدل علاقات القوة، ولها وما من أثر مباشر على المعرفة والإنشاء.

وننقل إن جانباً من المسكوت عنه يتحمل في نظرة الإسرائيليين إلى "التقارب"، و"التعاون"، وما قد ينجم عن كليهما من "حلف" محتمل، و"سلام" فصيح، وثمة، في هذا الصدد، مرافقة كاشفة نشرها الدكتور مردخاي كيدار،، أوأخر كانون الأول الماضي بعنوان "عشر نصائح لإسرائيل في التفاوض مع السعودية والعالم العربي". المذكور خدم ربع قرن في الجيش الإسرائيلي، ويعمل في الوقت الحاضر زميلا مشاركا في معهد بيفين ـ سادات للأبحاث، وفي تقديم المرافعة توضح أن كلمة السعودية تعني كل دول الخليج، وجوهر مراهفته وكلماته: "لن تدفع إسرائيل ثمنا مقابل السلام، وتعد يدنا لها لن يربد العيش بسلام معها، فهذا كل ما يحصل علينا".

المذكور يتبنى قناعات أيديولوجية "يمينية"، حسب التصيرات الإسرائيلية الشائعة، وبالنظر إلى خصوصية التعبيرات من "سوع اليمين" و"اليسار" في الحلل السياسي الإسرائيلي، يفتقد ما يندرج في تعبيرات كهذه قابليته للייاسمين والتعميم مقارنة بتعبيرات مشابهة في دول أخرى. فاليميني الإسرائيلي قد يتبنى قناعات ليبرالية، تماما، في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي، واليساري قد يتبنى قناعات متشددة، تماما، في الحلل السياسي، وغالبا ما تضيق الفجوة بين الاثنين كلما تعلق الأمر "بالأمن" فلا يختلف الأثنان على الغاية بل على الوسيلة.

لذا، ثمة ما يبرر القول، إن مرافعة كيدار تتجاوز تصنيف "اليميني" و"اليساري"، والصقور والحائم، وأنها تمثل عقلية سائدة لا تشكو ندرة النفوذ لدى الإسرائيليين، مع اختلاف الحساسيات الغوبية والسياسية، فما ينقص من جرعة البلبامسية في كلام هنا، قد يجد ما يعوضها في كلام هناك، ومع ذلك، لا ينبغي الاستنتاج أن واقعا كهذا يتكوّن من متاهرين يتقاوسون الأضوال، فالحياء واليساسة أكثر تعقيدا من تبسيط كهذا بكثير، وبهذا نصل إلى النصائح العشر، وثوابت إسرائيل التفاوضية، بالعرف تقريبا، مع قدر من الإيجاز:

أولاً: السعوديون لا يريدون السلام، كل ما يريدونه مساعدة إسرائيل لهم في مجابهة إيران، وبمجرد انتهاء الخطر، حتى لو كان الثمن حردا إسرائيليا ـ إيرانية مكلفة، فليس من المؤكد أن تظل العلاقة مع الراض سلمية.

ثانياً: إسرائيل باقية، وعضو في المجتمع الدولي منذ سبعة عقود، ويمكن أن تستمر سبعة آلاف عام دون سلام مع السعودية، وليدعها الوقت الكافي، وعلينا أن نتذكر أن السلام مع السعودية لن يحل مشاكل الشرق الأوسط، فالسلام مع مصر والأردن لم يحل تلك المشاكل، أيضا.

ثالثاً: لا صلة للسلام مع السعودية بأي موضوع آخر، خاصة الفلسطيني.

رابعاً: إذا طرحت السعودية موضوع الفلسطينيين، فعلى إسرائيل القول: إن أردتم مساعدة الفلسطينيين فعلا فأنبوا لهم المدن والبلدات في السعودية، ونحن نساعدكم بخيرتنا في بناء مجتمعات جديدة، وكل اقتراح آخر من جانب السعوديين يتبنى أن يقابل بانسحاب إسرائيل من المفاوضات.

خامساً: تعترف إسرائيل بنظام آل سعود في مكة والمدينة (يلاحظ كيدار أن العائلة ليست من الحجاز بل من نجد) مقابل اعتراف السعودية بالقدس كعاصمة تاريخية وأبدية لإسرائيل، وتقبل إسرائيل أن تصف السعودية نفسها كدولة إسلامية مقابل اعتراف السعودية بإسرائيل كدولة يهودية تحص الشعب اليهودي، وتعترف إسرائيل لآل سعود بالعيش في أي مكان في السعودية مقابل اعتراف السعودية بحق الشعب اليهودي بالعيش، في إسرائيل، لا بين النهر والبحر، ويلتزم الطرفان بعدم تحريض أحدهما ضد الآخر.

سادساً: تقبل إسرائيل بوجود سفارتها في أي مكان يختاره السعوديون، وفي المقابل يقبل هؤلاء بوجود سفارتهم في مكان تختاره إسرائيل، أي في القدس، وهذه مسألة مبدأ، وإذا نقل السعوديون سفاراتهم إلى مكان آخر، دون موافقة إسرائيل، يصبح السلام بين الطرفين لائياً.

سابعاً: لا يُصوّت طرف ضد الآخر في المحافل الدولية، ولهما حق الامتناع عن التصويت.

ثامناً: يجب إبقاء الأميركيين والأوروبيين خارج طاولة المفاوضات، لأن هؤلاء يمكن أن يضغطوا على إسرائيل لتقديم تنازلات في الموضوع الفلسطيني، وتحفظ إسرائيل لنفسها بحق الانسحاب من المفاوضات في أي لحظة.

تاسعاً: لا تقبل إسرائيل ضمانات دولية مقابل مطالب سعودية.

عاشراً: السلام يشمل التطبيع على كل المستويات، وفي الحلقل الأمني يتفاوضية السلام، يلتزم سعوديون بعدم مساعدة طرف ثالث ضد إسرائيل، ولا تلتزم إسرائيل بمهاجمة بلد لا يعهد أمها مباشرة، وعلينا ألا توقع اتفاقاً دفاعياً مع

السعودية.

انتهت المرافعة، بكل ما في السطور، وتحت السطور، وبين السطور، مشوار عشقي وكيدار طويل جداً، أليس كذلك؟

«شغف» رشا عدلي ..

العلاقة ما بين السياسة والفن في رحلة بحث ما وراء بورتريه

كتبت بديدة زيدان:

حين حصلت على نسخة من رواية "شغف" للروائية المصرية رشا عدلي، والصادرة عن الدار العربية للعلوم (ناشرور) وهي من بين الروايات المتنافسة على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكسر) ٢٠١٨ بوصولها إلى القائمة الطويلة، بحثت عما كتب عنها، فوجدت أنها رواية بلاغة متخصصة في تاريخ الفن، تبحث في قرابة ثلاثمئة وسبعين صفحة عن حكاية لوحة.

للوحة الأولى، خلّت أن موضوع الرواية قد لا يجذبني، وقد يحمل شيئاً من الملل، لكني، ومنذ الصفحة الأولى، شعرت بأن الأمر مغاير، فالأسلوب الشيق كان من أبرز عوامل الجاذبية للرواية، فمنذ البداية استطاعت عدلي أن تحفز الأسئلة في مخيلتي، بعد أن كشفت عن أن شعر الفتاة صاحبة البورتريه في اللوحة القديمة آدمي مغشى بمادة أسمنتية ممزوجة مع لون الشعر، في اللوحة غير الممهورة بتوقيع فنان بعينه، وهي لوحة متהלكة، قدرت ياسمين، إحدى شخصيتين محوريتين في الرواية، وهي الخبيرة في تاريخ الفن، وتتقاطع في هذا التخصص مع الروائية نفسها، أن ذلك يعود لسوء ظروف تخزينها عبر الزمن. البداية كانت من حيث الثورة المصرية في العام ٢٠١١ دون أن تذكرها، وذلك عبر حادثة حريق المجمع العلمي، حيث كان هذا البورتريه من بين القطع المراد ترميمها بسبب الحريق، من قبلها والخبير القادم خصيصا لهذه المهمة من متحف اللوفر في باريس في العام التالي، إلا أنه، وبخصوص هذه اللوحة بالتحديد، لم يكن ثمة أية آثار تتعلق بخراب ناتج عن الحريق، حتى أن الخبير الفرنسي لم يسيق له أن تتعرّف بفنان على هذه الدرجة من الحرفية، "فريشته لا تشبه ريشة أي فنان"، والحديث هنا عن المجهول صاحب البورتريه، الذي يكشف لاحقاً أنه رسام جاء على متن سفن نابليون بونابرت خلال الحملة الفرنسية على مصر في العام ١٧٩٨، ويعدى أتون جرمان، بعد رحلة بحث مضمّنية حول الفنان المغمور قسراً، والفتاة "مقصوفة الرقبة".

ولكن السؤال: لماذا لا يعرف خبراء الفن من هو التون جرمان، ولماذا ليس له إرث من اللوحات مزيلة أو ممهورة باسمه في المتاحف العالمية، رغم فنياته رفيعة المستوى، ومن هي الفتاة "نجمة البورتريه".

والإجابة التي تخرج بها الرواية، بعد أن تسير في خطين زمينيين متباعدين متوازيين، إلى أنه وقع في غرام زينب (مقصوفة الرقبة) ابنة الشيخ البكري، وهو من شيوخ الأزهر، نابليون بنفسه حين كانت في السادسة عشرة من عمرها، فعاملها معاملة خاصة، حيث ألبسها زي الأُميرات الفرنسيات، وكشفت عن وجهها بلاء على رغبتها، على عكس المصريات في ذلك الوقت، هي التي أيضاً كان يرسل لها عريته الخاصة لاستضافتها حيث يقيم، وخاصة في المحفات التي ينظمها لـ"علية القوم" من فريسيين ومصريين.

اعتاد نابليون أن يجلسها إلى جانبه، ويداعب شعرها المسترسل، لفرض إعجابه به وبها، وفي ذات مرة طلب منها أن ترقص له، لكنه وإن لم يكن، وفق "شغف"، تجاوز حد مداعبة شعر زينب، إلا أن الجميع كان ينظر إليها كعشيقتها.. هي نفسها كانت مبهورة بنابليون وقوته وشخصيته الفتيادية، ويعجبها ويحفظ الفنان بشعر زينب، وكان قد بدأ رسما سزا، جرمان، الذي بذل ذات الملامح الشرقية هذا العشق الممزوج بالشغف.

بعد العشق الجديد، تفرّ زينب، قُض شعرها، لاعتقادها بأن هذا سيقلل منسوب إعجاب نابليون بها، وحدث هذا في حضرة التون، حيث اعتادا اللقاء في ظل شجرة تحجب عيون الناس وخمليون نابليون، عنهما، وهنا يلتحق الفنان بشعر زينب، وكان قد بدأ رسما سزا، فكانت عيون من كتلة الشعر هذه، جزءاً مخفياً في لوحته التي عُثرت عليها الخبيرة ياسمين بعد أكثر من مائتي عام.



في عهد نابليون، كان أن تذهب فتاة مصرية إلى حيث هو بموافقة والدها، أمر معيب، بل باتت أمراً جلالاً أن تكشف وجهها وشيئاً من جسدها، وترتدي لباس الفرنسيات، فيأنت "سببرتها على كل لسان في الحي خشية"، لكن بشيء من "الغمز واللمز" خشية عقاب نابليون، أو غضب والدها الذي كافأه القائد الفرنسي مقابل منحه ابنته إياه، بأن أعلنه "تقيب الأشراف الجديد" بدلاً من الشيخ عمر مكرم.

وتغوص الرواية عبر البورتريه في تفاصيل تاريخية كثيرة تتعلق بحقبة الحملة الفرنسية، ومن قبلها حقبة المماليك، وانقسام المصريين ما بين مؤيد بنابليون ومعارض له ولحملته، ولكل مبرراته وأسبابه.

ويكفا سارت في خطين سرديين على مستوى الزمن، كان ثمة حكايات عشق، الأولى ما بين زينب التي تقضي بـ"قصف رقبتها" أي إعدامها في ميدان عام، عقب انسحاب نابليون، وقرار المصريين التلخص من كل من تعاون معه، فكانت هي واحدة ممن طالهن هذا القرار.

«رحلة الطيور إلى جبل قاف» لهدى الشوا: الخلاص قريب!



ما عليها: فكل طائر هنا يرمز إلى صنف معين من الكائنات، الطيور والبشر. أما يتيقة جهور الطيور-الشعب، فكان خلاصهم معا، حيث أخذوا بصحبة الهدد، السفر إلى "العدل والحكمة والإحسان"، حيث يخبرهم بأن لذلك ضريبة: "الرحلة إلى جبل قاف شاقة وبعيدة، فيها الأهوال والمخاطر الكثيرة".

ورغم ذلك فإن الرحلة ضمت الصنفين معا، النماذج السبع الأولية وبقية الطيور. أثناء الرحلة، تكشف معادن الطيور، فليست كلها متشابهة أيضا، وهي معرضة أيضا للتردد وإيثار الخلاص الفردى، حيث تعرض الكاتبة لنماذج هنا، بعضها تبوع ورجع، بعضها ابتعد عن الطريق فضاع وهلك، وبعضها اقتتل حل جبة القمع، وبعضها أغرتهما عجائب الطريق فانشغلت بها، "فثلاثون طيرا فقط هي التي صمدت من آلاف الأعداد التي اعترمت". تصل الطيور جبل قاف الشاهق زمردي اللون الذي تتمايل فيه الأشجار، فتبدأ عملية البحث عن العنقاء، متساثلين: "أسرابا كانت رحلتنا أم هباء؟" وهنا، تكون المفاجأة: فلا عنقاء هنا، ولكن هنا انكشاف النفس:

"تجمعت الطيور الواهنة وقت المساء،

عند ضفاف بحيرة متألثة لتروي الظماء،

وعين دنت لتأخذ قسطا من الماء،

لاح لها بين تموج القمر والظلماء

ظل طير عظيم يشبه العنقاء،

وعندما تمعنت الطيور في الصورة المنعكسة على وجه الماء،

تلجت الحقيقة واضحة كنور السماء،

كان حياجا قد كشف، فتبدد العماء،

كان ظلا قد فني في شمس الضياء،

عندئذ أدركت المجموعة أن الرحلة الشاقة لم تكن هباء،

وأنها قد وجدت ضالتها بعد كل هذا العناء"

هنا، بعد هذه الرحلة، يأتي سفر الطيور-الناس داخل نفوسهم:

تكتشف النماذج السبعة عللها وعقدُها: الطاوس، والبلبل، البيغاء، والبطة، والحجلة، والصقر، البومة، فيجد كل نموذج أن السفر قد حرره من أوهامه: "عندئذ أدرك الرفقاء أن الضالة المنشودة" لا تقطن في الأقاليم المجهولة.

انما الكنز النفيس

هو فضائل داخل النفس دفيئة،

وبرحلة صعبة داخل نفوسهم

انكشفت هذه الجواهر الثمينة."

لذلك، فإن خلاص الطيور-البشر يأتي من داخل كل نفس، وليس من طير عظيم أسطوري، أو غيبي يسكن بعيدا، في الخارج. إنها دعوة فكرية وأخلاقية للبدء بالتغيير من الذات الفردية والجمعية.

الرمزية،

أبدعت الشوا في استخدام الرمزية، من خلال الحديث على السنة الحيوان، والتي تم استخدامها في التراثين العربي والعالمي، وقد أبدعت الشوا في الاستخدام الممزوج للرمزية الجزئية والكلية، من خلال المدلولات المختلفة التي تكونت منها أقصة، في حين كان الرمز الفكري الكلي ممثلا في تصوير الخلاص الجمعي والفردى، من خلال اكتشاف النفس.

أما الطيور السبعة المذكورة: الطاوس، والبلبل، البيغاء، البطة، والحجلة، والصقر، البومة، فهي تدل على شخصيات إنسانية تعيش في جميع الأزمان، عاشت وتعيش وستظل تتكرر، من خلال إعادة إنتاجها في ظل نظم حكم تتوافق معها.

ويمكن عقد تعاقب بين الطيور والشخصيات البشرية، فالطاوس البشري يعيش بيننا ويختلل بما لديه، ويتوقع دوما الإعجاب، والبلبل البشري هو من يعتقد أن كل ما جميل مخلوق له وحده، أما البيغاء البشري فهو الإعلام الموجه، والبطة هي نوع معين من أغنياء الحروب والانفتاح، إنهم "القطط السمان"، ولربما تكون الحجلة البشرية صنفا يستمتع به الحكام، في حين يمثل الصقر البشري القوة الحديدية التي يحكم بها المستبدون، أما البومة البشرية فتمثل المنعزلين أثرى كانوا، لعلهم صنف يكره الحياة وتجددها.

استخدمت لغة جميلة وواضحة، مستخدمة السجع جماليا، دون أن يسطو على المضمون، وقد نوعت بين القوافي، حيث بدت النصوص كالشعر الحر، أو المثنو؛ فالنص المكثف فيه من السجعية والشاعرية، بالرغم من أنه نص فكري يتحدث عن الخلاص الفلسفي للإنسان. ولربما استخدمت هذا الأسلوب التراثي بدافع وضع القراء داخل جو تاريخي، أو بدافع تشجيعنا للعودة إلى نص العطار.

سفر النص:

أختم بما ابتدأت به: "إنما هذه الأسفار كلها قناطر وجسور نعبر عليها إلى ذواتنا ونفوسنا...، التي استخلصها ابن عربي بعد طول تجولاته في الأرض والكتب ونفسه. تمثلت فكرة النص في آخر القصة: "عندئذ أدرك الرفقاء أن الضالة المنشودة، لا تقطن في الأقاليم المجهولة...،انما الكنز النفيس هو فضائل داخل النفس دفيئة"، وليس من الأدب والخيال والعمق إيرادها هكذا بشكل مباشر، بل لا بدّ أن تأتي في ظل سياق قصصي ما، ليكون وصولها عميقا، كونه يأتي من خلال تجربة وتجريب، وهو كما في النص كما في السفر أيضا، أي عبر "رحلة صعبة داخل نفوسهم انكشفت هذه الجواهر الثمينة"، حيث أن السفر يعقّق فكر الإنسان وشعوره.

إنه هنا سفر النص الأدبي، ونص السفر، وسفر النفس في الأرض والسماء والنفس.

يذكر أن القصة حازت القصة على جائزة الشيخ زايد للكتاب. وقد صدرت عن دار الساقي- بيروت ٢٠٠٩.

الرسم:

للغنانة البريطانية فيانيسا هودجكينسون،أدخلتنا الرسامة إلى الأجواء التراثية، وأفردت لكل طائر رسما، مستندة إلى الأسلوب الخزفي القديم، باختيار اللون الذهبي، والنيابات، والشكل الثماني المحيط باللوحات.

درست هودجكينسون تابع الفن، اختبرت الحياة العربية والإيرانية، من خلال رحلة تعلم للغة العربية.

• استوحيت الكاتبة النص من المنظومة الشعرية "منطق الطير" للشاعر الفارسي الصوفي فريد الدين العطار الذي عاش في نيسابور في إيران مطلع القرن الثاني عشر الميلادي.

• جبل قاف، أشارت الكاتبة أنه ذكر في كتابي: عرائس المجالس ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

• العنقاء: ورد ذكره في "منطق الطير" للعطار، وورد في كتاب: "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" للقرنوزي، وفي كتاب: "إخوان الصفا وخلق الوفا".